جرس العدلّة

تاليف محمد سلامة جمعيان
رسوم ضياء الحجار
كان في قديم الزمان مدينة جميلة تسمى مَدِينة العدُل. وكان حاكمها عادلاً. وذات يوم دخل عليه وَزِيره ليحدثه عن أحوال المَدِينة وأهْلها ويُقِدِّم له النَّصائح التي تساعد على انتشار المحبة والعدل والمُساواة بين أفراد رعيته.
اقتنع الحاكم بنصيحة الوزير، فاستدعى كبير القضاة في المدينة وقال له: لقد أشار علي وزيري أن أعلقو جرساً كبيراً في السوق.
وأرجو أن يعلقو الجرس بحبل طويل، يستطيع أن يصل إليه أصغر الأطفال، فإذا دق الجرس، فاجمع القضاة ليُزيلوا الظلم عن المظلوم.
امتثل كبير القضاة لأمر الحاكم، ولكن الجبل اندفع مع مور الأعماق، فوق الجرس. ثم أمر كبير القضاة بوضع حبل جديد، ولكن الناس لم يجدوا حبلا في ذلك الوقت. اقترح عليهم حكيم المدينة أن يربطوا الحبل مؤقتا، حتى يحضروا حبلا جديدا. ثم ذهب إلى أحد البساتين المجاورة، وعاد وفي يده فرع طويل من شجرة العنب.
وكان يعيش في مدينة العدل رجل بخيل، له حصان ينقل عليه البضائع.

ولما كبرت سن البخيل عجز عن العمل، فأهمل حصانه، حتى كاد الجوع يفتك به.

وفي أحد الأيام أطلق البخيل سراح حصانه، فلم يجد إلا عشباً قليلاً، فراح يفتش عن مزيد من الطعام، ولكنه لم يجد شيئاً.
تابع الحصن مسيره، والضعف يبدو عليه. وكان الجو حارًا، فلزم الناس بيوتهم خوفًا من تعرضهم لضربات الشمس. ضاع الحصن في الطرق، حتى وصل إلى المكان الذي علق فيه الجرس، فرأى فرع العنبر متدليًا.
فرح الحصان، فمكَّد رقبته حتَّى يجذب فرع العنب، إلا أنه لم يستطع قضمته لضعْفه، وظل يحاول مرات ومرات. وَيَسْتَمْهَل الحصان يحاول قطع فرع العنب، دوَّى الجرس بالرَّنين. سمع سكان مدينة العدل صوت الجرس، فعرفوا أن هناك مظلومًا في مدينتهم.
أسرع القضاة إلى موضع الجرس، فسأل كبير القضاة الناس عن الذي دق الجرس، في هذا اليوم الشديد الحرارة، فأخبروه أنه حصن البخيل، الذي ظلمه صاحبه، فجاء يطلب العدل والإنصاف.
استفسر أحد القضاة عن حقيقة الأمر، فتبين له أن البخيل كان يعامل حسانته معاملة قاسية، فقال القاضي للناس المجتمعين: إن مدينة العدل ترفض أن يكون فيها مظلوم من الإنسان أو الحيوان. وطلب كبير القضاة إحضار البخيل.
ذهب رئيس جمعية الرفق بالحيوان إلى بيت الرجل البخيل. وحينما دخل عليه وجد يحتضن ثروته التي جمعها. ولمّا أخبره أن كبير القضاء يريده قال البخيل: ولكنني رجل كبير السن، لا أقوى على المشي، فأحضروا لي حصانا أركبه.
قال رئيس جمعية الرفق بالحيوان للبخيل: لو حافظت على حصانك، واعتنيت به لخدمك الآن.
فقال البخيل: لو أنفقته عليه من مالي لإطعامه، لما جمعت هذه الثروة الطائلة.
ثم طلب أن يستعير حصان جاره.
وَعُنَّمَا وَصَلَ البِخِيلٌ إِلَى مِكاَنَ الْجَرَّةِ، وَجَدَ النَّاسَ وَالْقَضَاءَ مَجْتَمِعينَ وَأَمَامَهُمْ الْحَصَائِنُ. حَوَّلَ بَعْضُ النَّاسِ أَنْ يَعْتَدِي عَلَى البِخِيلِ، فَمَنْعَهُمْ كَبِيرُ الْقَضَاءَ قَالَ: إِنَّ الْاعْتِدَاءَ عَلَى الآخَرِينَ لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِنَا فِي مَدِينَةِ الْعَدْلَ. وَطَلَّبَ إِلَيْهِمْ أَنْ يَتَرَكُوا الْأَمْرَ لِلْعَدْلَةِ.
هذا الناس، وأقترب البخيل من منصة القضاء، وهو ينظر إلى الأرض، فقال له كبير القضاء: انظر إلى حصانك، لقد خدمك خير خدمه، وأنقذك من الفقر، فلماذا أهملته حتى أوشك أن يموت؟
لم يجد البخيل جواباً يرد به على كبير القضاة، وطلب منه العفو، وأن يعيدوا إليه الحصن ليعتني به، ولكن كبير القضاة رفض طلبه، وقرر أن يعلمه درساً لن ينساه.
كان الناس يطلبون من كبير القضاة أن يعاقب البخيل، فقال لهم: نحن هنا من أجل إحقاق الحق وإنصاف المظلوم. ثم قال بصوت عال: لقد قررت أخذ نصف مال البخيل للحصان، ونبني له مكاناً يقيم الحر والبرد. هتف الناس المجتمعون بفرح شديد: يحيا العدل... يحيا العدل.
قاضٍ
وزير
حَاكم
مدينة
فرع عنب
حبل
جرس
بخيل
حصان
منصة
يعتدي
ثروة
يقضم